Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

"المثقف بين تراجع الأدوار والأدوار المفقودة "

The intellectual between the decline of roles and the lost roles

بوعبدلي نور الدين - BOUABDELLI NOUREDDINE
مخبر الدراسات التاريخية والانسانية جامعة الجلفة
الإيميل: n.bouabdelli@mail.univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2021-04-19 تاريخ القبول : 2021-08-03

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى التطرق الى مفهوم الثقافة من حيث هي ذلك المركّب الكلّي الذي يشتمل على : المعارف ، والمعتقدات والفنون والآداب ، والأخلاق والقوانين والأعراف ، والقدرات وكذلك على جميع الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان ، بصفته عضوا في مجتمع معيّن ويتمركز هنا درو المثقف في اعادة إشكالية الدور والدور المفقود له ، خاصة وان النقاش صار واضحا ومتعلقا بعلاقة المثقف بجماهيره ومدى تفاعل وتقبل هذا الأخير لمواقفه واتجاهاته أثناء ممارسته لسلطته الأدبية والأخلاقية التي تأسست من خلالها مكانته الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية

الثقافة – المثقف – الأدوار –المكانة – المعايير – الثقافة الفرعية–

Abstract:

The study aims to address the concept of culture in terms of the whole complex that includes : Knowledge, beliefs, arts, morals, ethics, laws, customs, capabilities, as well as all the other preparations and customs acquired by a human being as a member of a certain society. The role of the intellectual is concentrated here in the reformation of the problem of his role and role, especially since the discussion has become clear and is related to the intellectual's relationship with his audience and the extent of the interaction and acceptance of the latter's positions and orientations during the exercise of his moral authority through which his social status was established.

Keywords: culture - the cultured - roles - status - standards -

المقدمـــة :

إن التحولات المتسارعة والمتتالية نتاج التقنية والعولمة التي عرفها العالم عموما ومجموع الأحداث المتنامية والمثيرة التي عرفتها الساحات العربية خصوصا تلك التي تباينت المواقف بشأنها مثل ثورات الربيع العربي – طبعا بغض النظر على المناقشات التي تبعت هذه الثورات حول مصيرها المرتبط بثنائية الانتصار أو الانكسار – والحراك الشعبي فإن هذه المرحلة جسّدت عودة التساؤل والأطروحات المتعلقة بدور المثقف ومدى استيعابه لحجم المسؤولية المنوطة به من جهة ومدى تأثيره بعد ذلك على المجال العام من خلال مكانته الاجتماعية الناجمة عن المعرفة للمتغيرات ، و قدرته على تقديم تفسير وظيفي اجتماعي ثقافي لمختلف الأحداث .

ان الرهان القائم في ظل هذه المرحلة الحساسة والفاصلة في تاريخ المجتمعات هو مدى مرافقة المثقف وتفاعله مع الأحداث بشكل لا يحدث معه الصدام أو الصراع ولا يعيد إنتاج ما يعرف بصراع الشعوب مع مثقفيها و نخبها خاصة في ظل سطوة المال السياسي الفاسد الذي له القدرة على التسويق والتوجيه .

إن الجميع ينظر إلى المثقف في ظل شغور أو تغيّيب للسلطة الأخلاقية على أنها هي من يحتوي ويختزل هذه السلطة ويعمل من خلالها على كشف ورصد الإختلالات و الخروقات التي تصيب النظام الاجتماعي بكل أنساقه ومن ثم تقديم مقاربة تحقق الانسجام و الاستقرار والفاعلية داخل المجتمع ، ومن هنا نقول أن المجتمعات العربية ومن خلال فعل الثورة أعادة النقاش حول بعض الإيديولوجيات وبعض الأفكار التي كانت تستمد حيويتها من حداثة الغرب وبعض من منظوماته المتعددة خاصة إذا نظرنا إلى التجربة المصرية التي أبانت على نخب انقلبت على مبادئها نتيجة للخصومة السياسية تجاه مخرجات الثورة والعملية الانتخابية أو مغازلة التشكل السياسي الجديد خوفا أو طمعا مما يبعث النقاش حول ضرورة إعادة القراءة في دور المثقف بعيدا عن تجاذب الإيديولوجية وصراع المصلحة ، خاصة في ظل حضارة أوجدت تراثا مازال يشكل ينبوعا روحيا ومصدرا فكريا وحضاريا للمجتمعات العربية ،

إن رهانات الفكر العربي قائمة على الوضعيات الجديدة التي أفرزتها طبيعة المرحلة وأسست لأسئلة تعلن بداية مرحلة حساسة يختبر فيها المثقف ويعيد إشكالية الدور والدور المفقود له ، خاصة وان النقاش صار واضحا ومتعلقا بعلاقة المثقف بجماهيره ومدى تفاعل وتقبل هذا الأخير لمواقفه واتجاهاته أثناء ممارسته لسلطته الأدبية والأخلاقية التي تأسست من خلالها مكانته الاجتماعية .

إن مخيال المجتمع ونمطية الصورة التي خلفتها الأدوار التقليدية للمثقف في ذهنه مازالت مرتبطة بتبعية المثقف للسياسي من بل تحكم السياسي في مواقف المثقف واتجاهاته المروجة له أي أن المثقف خادم للدولة أو أساسا سياسيا متحزبا أو بالتعاطي الإيديولوجي مع قضايا المجتمع من خلال تبني مدارس واتجاهات فكرية تشكل ومازالت المصدر الحيوي في صياغة مواقفه .

ومن ثم فإن النخب أصبحت أمام هاجسين يحددان مصيرها ودورها بشأن التحولات التاريخية الهاجس الأول قدرتها على إعادة صياغة العلاقة مع جماهيرها وشعوبها ومن ثم تجاوز الأدوار التقليدية سيما تلك التي تدور في فلك الغرب و التماهي معه في مواضعه وإشكالاته وانتظار ما ينتجه العقل الغربي والابتعاد عن قضايا الأمة الجوهرية والمحورية وشغلها بمعارك فلسفية ومصطلحية ومفاهيمية تستنزف وعيها وطاقاتها الفكرية الحيوية وتحول دون الانتقال بها من دائرة الوجود البنسق الحضور والفعل الثقافي المؤثر.

أما الهاجس الثاني يكمن في قدرتها على رسم وتحديد العلاقة مع الدولة الذي ينتهي بها الى استدراك الأدوار المفقودة مع الإشارة الى أن تحديد العلاقة في السياقين لا ينجح إلا من خلال تحديدها تحديدا معياريا يؤسس للانتقال من التنظير الى الفعل الذي يستوجب القدرة في التعاطي مع مشكلات المجتمع وتحسس نبضات أوجاعه ومعاناته والتعبير عنها بكل وضوح وبعيدا عن المتاجرة السياسية .

اننا نتفق على ان الثورات العربية والحراك الشعبي افرز واقعا- مأزوما - أعاد النقاش حول طبيعة العلاقة بين المثقف وجماهيره او بين النخب ومجتمعاتها من خلال طبيعة ومستوى الأدوار التي يجب أن يقوم بها سيما في ظل حالة التمايز بين الأهداف والمقاصد وفي ظل عدم مركزية الثقافات الفرعية عن ثقافة الأم وسعيها للإنفصال عنها بحجج لا يقبلها العقل والتاريخ والمصير والقيم المركزية للمجتمع

إن التاريخ وحركيّته وتغيره الدائم والمستمر قد لا يمنحنا الفرص كثيرا وان المثقف إذا فشل في استثمار الفرص للقضاء على حالة اليأس والسلبية للمجتمعات يكون قد حرر شهادة عدم الصلاحية فلا يكون مؤثرا ولا مسموعا ولا مقبولا ويعيش بالنتيجة على هامش التاريخ فلا يفاعل فيه ولا يتفاعل معه ويكون بذلك قد دخل مرحلة موت المثقف أو جدال النهايات .

إن هذا الموضوع ومن خلاله نقدم مقاربة نقدية تحليلية لعلاقة المثقف مع الآخر نتناولها ضمن سياقات المأمول من المثقف ومدى قدرته في التأثير على المجال العام وفق ما تقتضيه طبيعة المرحلة .

ان هذا التناول اجتهد من خلاله بان يكون بعيدا عن محاضرات المدرجات التي خلّفت حالة من الركود والجمود خاصة في ظل السعي الحثيث - لبعض الأساتذة والمثقفين- إلى خدمة المسار المهني والانشغال به بعيدا عن مقتضيات التفاعل مع هموم الأمة وقضاياها الراهنة وعدم الانخراط في النقاشات التي تؤسس الى رؤية تحليلية وتفصيلة لمشاكلها ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الانخراط في النقاش لقضايا الأمة ومشاكلها يجب ان يكون وفق الآليات المتاحة للإنتاج المعرفي ومرافقة حركية المجتمع بكل أنساقها في الجامعة كالمخابر التي أرى أنها ابتعدت عن دورها كفاعل أساسي هدفها خدمة العلم والمعرفة وتحقيق الجودة بل ان هناك من اتخذ من المخابر العلمية منصة لخدمة مصالحه الشخصية - بمنطق التتبع والإخضاع وتصفية الحسابات وتحويله الى مجموعة ضغط تمارس إملاءتها - دون الالتفات إلى الإنتاج العلمي والمعرفي الجاد وهناك من تاه في مواضيع مستهلكة غير جدية فهنا كذلك إشكال بدأ يطرح على الساحة العلمية الجامعية وهو قصور وعدم قدرة المخابر العلمية في رصد سياقات التحول وتنمية المشاركة المجتمعية من خلال مجابهة إشكالات الواقع المجتمعي ومحاولة استكشاف نقاط الضعف ومكامن الإبداع ومن ثم التغيير طبعا الكلام هنا لا يصدق على جميع المخابر العلمية بل هناك من المخابر من يصنف الى مراكز دراسات جادة نظر للنوعية والجودة المقدمة في أعمالها ونشاطاتها .

مفاهيم اصطلاحية "

مفهوم الثقافة

ليست الثقافة مفهوما بسيطا ينتجه ذلك الاستخدام المتكرر لهذه الكلمة أثناء النقاش بل ان مفهومها تتداخل فيه الكثير من العناصر والأبعاد ولا اذكر تعريفا قدم للثقافة الا و عبر صاحبه بداية على تعقيد المفهوم وصعوبة التناول والإحاطة وهذا ما نتفق معه على اعتبار أن وقع المصطلح في عقل ومخيال المتلقي ينتج سياقين للتعامل معه السياق العام أو ما يعرف بالثقافة العامة وهي الكل المركب الناتج عن الإنسانية الاجتماعية والسياق الخاص وهو الثقافة بالمعنى المتناول من خلاله الموضوع أو بمجال توظيف المصطلح وطبيعة السياق المرتبط به ، كما تجدر الإشارة أن هذا المصطلح " في أوروبا لم تأخذ الكلمة معناه الحالي حتى فترة متأخرة ، حيث يشير عالم الاجتماع الكندي -غي روشاي - إلى أن الثقافة بالفرنسية كانت تعني الطقوس الدينية في القرون الوسطى ثم أصبحت تعبر عن فلاحة الأرض في القرن السابع عشر ، وعبرت عن التكوين الفكري في القرن الثامن عشر وفي ألمانيا أشارت الكلمة إلى التقدم الفكري... "**(سميرابراهيم حسن ، 2007،ص30)**

أي ان الثقافة كمفهوم تعاني من تعدد المعاني المرتبط أساسا بالمجال الاجتماعي الذي يتم فيه إنتاج المفاهيم والثقافة اللغة وبحسب القواميس "لا تذكر هذه الكلمة إلا لماما سواء في ذلك القديمة والحديثة فلسان العرب يقول في المجلد العاشر يقال ثقف الشيئ وهو سرعة التعلم ويقول ابن دريد ثقفت الشيئ حذفته .....والقواميس الحديثة تقول ثقف ثقافة صار حاذقا خفيفا ويقف الشيئ فهمه بسرعة"**(مالك بن نبي ،2013 ، ص19)**

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح لم يظهر في مقدمة مؤسس علم العمران البشري

والثقافة لا يمكن تعريفها اصطلاحا إلا من خلال إرجاع المصطلح إلى أصوله التاريخية وما يهمنا هو تناول علماء الأنثروبولوجيا الذين كانوا ول من نحت المصطلح ثم علماء والاجتماع .

فأشهر تعريف لمفهوم الثقافة قدمه عالم الانثروبولوجيا البريطاني ادوارد تايلور في كتابه الثقافة البدائية سنة 1871 من خلال قوله " هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقليد واي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع "(**سميرابراهيم حسن ، 2007،ص30)**

أما عالم الانثروبولجويا الأمريكي لسلي وايت فقد تناول مفهوم الثقافة " باعتبارها تلك القدرة الترميزية عند الإنسان "**(سميرابراهيم حسن ، 2007،ص30)** ويحدد لها ثلاث مستويات توجد الثقافة في الأعضاء البشرية كالأفكار والمشاعر وغيرها وتوجد كمستوى ثاني في السلوكيات بين الأفراد وتوجد كمستوى ثالث في الأشياء

أما علماء الاجتماع فقد تعاطوا مع المفهوم من منطلق "الأفكار الرئيسية للمجتمع "(محمود الذوادي ،2010 ،ص149) أي أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيديولوجيات وفي هذا السياق فقد جاء في موسوعة علم الاجتماع ان الثقافة "تعني كل ما هو موجود في المجتمع الإنساني ويتم توارثه اجتماعيا وليس بيولوجيا "(**جون سكوت وآخرون،2011 ،ص537)**

يرى مالك بن نبي في هذا السياق أن كلمة ثقافة التي من حظها أن تختار لهذا المعنى لم تكتسب بعد قوة التحديد الضرورية لتصبح علما على مفهوم معين . وهذا هو ما يفسر لنا أنها بحاجة دائما إلى كلمة أجنبية ، تقرن بها لتحديد ما يراد منها في الكتب التي تتصدى إلى هذا الموضوع ، أو بعبارة أخرى إنها كلمة لا تزال في اللغة العربية تحتاج إلى عكاز أجنبي مثل كلمة Culture كي تنتشر. و يشير مالك بن نبي أن ابن خلدون وباعتباره مؤسسا لعلم الاجتماع لم يستعمل أو يشير إلى هذه الكلمة "**(مالك بن نبي ،2013 ،ص25).**

و قد عرف إدوارد تايلر مصطلح الثقافة من خلال كتابه الثقافة البدائية بالقول : "إن الثقافة أو الحضارة ، هي ذلك المركّب الكلّي الذي يشتمل على : المعارف ، والمعتقدات والفنون والآداب ، والأخلاق والقوانين والأعراف ، والقدرات وكذلك على جميع الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان ، بصفته عضوا في مجتمع معيّن ".

وعرفها سيغموند فرويد – طبيب وعالم نفساني نمساوي – " إن مصطلح الحضارة أو الثقافة يشير إلى جملة الصنائع والتنظيمات التي يبعدنا تأسيسها عن الحالة الحيوانية التي كان أسلافنا الأوائل يعيشون عليها ، والتي تفيد في تحقيق هدفين : حماية الإنسان من الطبيعة ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية "**(عبد الرزاق الداوي ،2013 ،ص22)**

المثقف

بعبارة (إني اتهم) حرر إميل زولا رسالته الى الرئيس الفرنسي يدافع فيها عن الضابط اليهودي -المتهم في في قضية تجسس تبين فيما بعد بأنه برئ منها- ومن خلال هذه الرسالة تحررت شهادة ميلاد المثقف بعد أن تحولت الرسالة إلى عريضة وقع عليها أكثر من 1000 من مفكرين وأساتذة جامعيين وغيرهم سميت آنذاك ب بيان المثقفين .

ويعتري مصطلح المثقف الكثير من الصعوبة في تحديد مفهومه بالنظر الى الابعاد الوظيفية له الا ان هذا لم يحول دون تقديم رؤى حول هذا المصطلح الذي يرى عزمي بشارة بأنه "وصف فئة من البشر تشكلت تاريخيا وهو ليس مفهوما علميا لفهم الظواهر وتحليلها بل نحن نصطلح عليه في وصف من يستخدم المكانة الناجمة عم العمل في المعرفة لإتخاذ موقف يؤثر في المجال العام " **(عزمي بشارة وآخرون،2014 ،ص148)**

كما ان هذا المصطلح ارتبط ارتباطا واضحا ومتلازما هو الوعي النقدي والوظيفة النقدية التي تفرضها مكانة المثقف وفي هذا السياق فإن ما يتميز به المثقف " لكي لايكون مجرد عامل فكري يكسب عيشه من عمله الذهني وذكائه اكثر من عمله العضلي ، فهو ان يكون شجاعا قادرا في الآن نفسه على النظر بصرامة الى قضايا مجتمعه ، من خلال المناهج النقدية العقلانية ذاتها التي يستعملها في مجالات تخصصه صرامة تحول دون تراجع النقد امام النتائج التي يقود اليها هو نفسه ولا أمام الصراع مع السلطة أيا كانت "**(عبد السلام حيمر ،2009 ،ص197)**

وفي المقابل فإن اخطر ما يمكن أن يحدث للمثقف هو ان يكون أداة للانتقال من خلاله من التمثل إلى الفعل أوان يكون وسيطا للتعبير عن الحوامل الغربية التي تخدم مصالحه اوان يستجيب بطريقة أو أخرى للإغراء والمساومة وهذا الأمر حدث لبعض رموز الثورات والحراك العربي أين امثلوا للإغواء الغربي وغازلوه من خلال مواقفهم التي تصطدم مع المكون والإتجاه الوطني

ومن ثم يمكننا ان نقول بان المثقف هو الفرد الواعي بدوره ومسؤلياته التي يباشرها بعيدا عن التجاذبات الطبقية والإثنية والطائفية ، يكتسي من المؤهلات العلمية والفكرية والمعرفية ما تكسبه السلطة الأخلاقية التي يمارسها بكل جرأة بعيدا عن المنفعة الشخصية او الفئوية وبعيدا عن التوظيف السياسي لمواقفه الفكرية .

الأدوار :

ان الوضع الاجتماعي لأي فرد يتحدد ن خلال الوظيفة او المهمة التي يشغلها كما ان السلوكات والممارسات الناجمة عن عملية التفاعل تسمى الدور الذي يعد حسب لينتون مظهرا ديناميا ولعل الدور من وجهة النظر الثقافية يتحدد مفهومه وفق الأنماط المعيارية للثقافة أما وجهة النظر الإجتماعية حسب بارسونز فإنه يرى الدور بأنه " قطاع من النسق التوجيهي الكلي للفرد الفاعل وهوة ينتظم حول التوقعات في علاقاتها بمحتوى تفاعل معين...." **(سامية حسن الساعاتي ،1983 ،ص148)**

والمجتمعات تحدد الأدوار الإجتماعية التي تتوقع من افرادها القيام بها على غرار المثقف الذي ينتظر منه المجتمع القيام بواجب الوفاء تجاهه من خلال تحريك مكامن الغفلة وسواكنها لما يكتسبه من عدة معرفية وفكرية .

المعايير :

هناك من يرى أن المعايير الاجتماعية تحدد ما هو صحيح و ما هو خاطئ وما هو جائز ، و ما هو غير جائز ، و ما هو مباح و ما هو عيب و باختصار تحدد المعايير الاجتماعية كل ما يجب أن يكون وما يجب أن لا يكون في سلوك أفراد الجماعة**(عبدالله الرشدان ،2004 ،ص95) .**

و لعل الثابت أن المعايير تتعدد وتختلف وتتنوع من مجتمع إلى آخر كما أنها تتسم بالنسبية وفي غالب الأمر بالخصوصية وتعتبر وسيلة كما انها تشير إلى نمط السلوك ، كما أن المعايير يفرزها الواقع الاجتماعي لتمثله الذي تضبطه القيم السائدة .

الثقافة الفرعية :

في علم الاجتماع والانثروبولوجيا تشير الثقافة الفرعية او الثانوية الى مجموعة من الاشخاص تختلف في بعض تفاصيلها المتعلقة بنمط الحياة – العادات والتقاليد والأعراف - عن ثقافة اكبر تجتمع معها في كليات المعالم والانساق المكونة لتماسك المجتمع الذي يقتضي تمركز الثقافات الفرعية حول الثقافة الأم على خلاف التنوع الثقافي الذي يكتسي مفهومه أبعادا عالمية على اعتبار أن لكل دولة ثقافة خاصة بها ولها حواملها المميزة لها .

المثقف وخطاب الإيديولوجيا كسبب لتراجع التأثير:

يرى البعض انه لابد من تحديد مفهوم دقيق وشامل للثقافة قبل تعريف المثقف ، ولكن نرى ان هذه المقولة ليست دقيقة على اعتبار أنها تتجاوز التخصصات على مستوى العلوم ولكن إذا سلمنا بصحة هذه المقولة فالأولى القول بمحاولة صياغة مفهوم تتقاطع فيه اغلب التخصصات إن لم نقل مجملها وذلك لتحديد الحقل الذي ينشط فيه وهذا يعكس طبيعة الدور الذي يجب أن يقوم به .

ومن ثم وجب التميز بين الثقافة والمعرفة فالكثير ينظرون الى المثقف من وجهة نظر معرفية ، اي ماذا يجب أن يقدم أو يضخ من معرفة في وسطه وهذا التوجه يصطدم مع حقيقة دور المثقف في مجتمعه وفي المقابل هناك من يرى المثقف هو ذلك النشط الفاعل المتمكن من مفاصل السياسة والمتصدر للمشهد السياسي والاجتماعي تنتهي الى مجموعة من العلاقات التنافسية يكثر معها الحشد والتجنيد والتطبيع والشد والجذب وكل هذا محكوم بالإيديولوجية التي يتبناه الشخص مما يحدث الهوة بينه وبين مجتمع تنتهي الى شكل من أشكال القطيعة .

إن الدور المتوخى للمثقف داخل مجتمعه يجب ان يكون متجردا من أي تأثير إيديولوجي لمواقفه ، بل عليه ان يقوم بدوره بكل التزام معنوي وأدبي وأخلاقي وان يغمره شعور الحرية لإبداء رايه مهما كانت ردود الفعل او النتائج خاصة عندما يراد القطيعة مع الثقافة التي تستمد جوهرها من تراثنا الأصيل .

ان خصائص المثقف باتت معلومة ومعروفة وتشتد وضوحا في غمرة الحوادث والتطورات السياسية والاقتصادية و التغيرات الاجتماعية ومنها كما سبق التجرد من الوهم الإيديولوجي الذي صنعه الغرب لتجاوز تراثنا ولشغل وعي الأمة عن القضايا الأساسية والجوهرية .

هذا الواقع مازال مسيطرا وقائما بل ان هناك من تبنى نظريات ومصطلحات ومقاربات ومناهج وصلت إلى حد الصراع مع كينونة المجتمع بل هناك من جعلها من الحداثة وما دونها سلفية او غيرها من التوصيف وعلى سبيل المثال طه حسين كان يرى ويعتبر الثقافة الفرنسية قمة العطاء الفكري بل جعلها منطلقا جوهريا للنهضة العربية المنشودة في عصره وسرعان ما عاد إلى إحياء التراث الإسلامي مثل كتابه على هامش السيرة .

إن مسؤولية المثقف تجاه مجتمعه نابعة من مكانته وسلطته الأخلاقية هذا الأمر يجعل من واجبه العمل على صناعة الوعي وممارسة دوره بلا مهادنة وان يعتمد مقاربة قائمة على الارتباط بالأصل وعدم الانفكاك عن العصر لأننا لا ندعو إلى القطعية مع المعارف الغربية السابقة منها والحالية لأن الإنتاج المعرفي الإنساني الذي يكون وفق المقاصد الكلية المعروفة هو ضالة المسلم وغاياته .

ولعل التركيز الحالي قائم على ما ينتجه المثقف من رؤى ومواقف وادوار بكل حرية وتنسجم مع البناء الاجتماعي العام لمجتمعه وتتفق مع التنوع والتعدد الثقافي وتكون جامعة غير مستمالة ولا خادمة ولا متأثرة بأي شكل من أشكال الوصاية أو التدخل لخدمة السياسي ، بهذا يمكن ان يسترجع المثقف بعضا من تأثيره المفقود لأن الحرية عنده كل لا يتجزأ و يتمتع باستقلالية الإرادة والوعي كما سبق الإشارة إليه .

ولعل اغلب البحوث والآراء والدراسات العربية في المرحلة الأخير اعتبرت المثقف وصيا على المجتمع ويقع عليه من خلال مكانته الرمزية والمعنوية والاجتماعية واجب التغيير والإصلاح ، ذلك أن المثقف هو ابن بيئته وله القدرة على الانخراط في عملية الصراع السياسي والاجتماعي ويوظف تفكيره العالي والناقد ومخيّاله المسوؤل في تحويل هذا الصراع الى خدمة المجتمع والأمة ويكون تأثير كل ذلك واضحا وملموسا

إن المثقف الواعي والمسوؤل هو الذي يتجرد ويتحلل من التأثير الإيديولوجي الذي بات مكشوفا بفعل الثورات العربية ومن ثم على المثقف إذا أراد أن يبدع وينجح في الانتقال بالمجتمع من دوائر التكديس إلى مراتب التكريس والإبداع الحضاري أن يعمل على تحويل أفكاره من إطارها المجرد إلى أفكار حية تشغل حيزا من المجال والفضاء الاجتماعي ويحقق بهذا الفعل الجامع أي الفعل الذي يجمع بين الفعل الاجتماعي- على مستوى الممارسة - والفعل الثقافي المؤثر-على مستوى الأفكار الحية - .

المثقف بين الدور التقليدي والأدوار الحديثة

ان دور المثقف يقتضي مناقشة مسؤوليته تجاه مجتمعه كما يقتضي منا مقاربة الوظائف الثقافية من خلال ((المرور عبر دراسات العلاقات الحميمة التي تقيمها هيكلية المثقف مع مختلف أشكال العمل الفكري..)) **(جبرار ليكلرك ،2008 ،ص65)** أي أن عمل المثقف يجب ان ينظر له على انه عمل وظيفي وليس مهني او حرفي

إن الوظائف الفكرية للمثقف لا يجب أن تكون نتاجا او تابعة للأطر الاجتماعية التقايدية او المسيطرة لأن بهذه الصورة يصبح التقليد والمسايرة هما واقع المثقف ، بل يجب أن تتميز وظيفته من خلال إنتاج الأطر والاتجاهات بشكل واعي ومسؤول طالما انه يستقي مكانته المحددة سلفا من قبل مجتمعه بصورة تفاضلية عن الوظائف الأخرى .

ان المثقف بهذه الصورة عليه أن يتجاوز دور الوسيط بين بين السلطة والمجتمع وان يتجرد من التبعية السياسية والخدمة الإيديولوجية وان لا يحول نفسه إلى شكل من أشكال الأصوات والآراء والمواقف الفاشلة والقابلة للتعبئة في أي وقت وتحت اي ظرف بل عليه أن يعمل على حماية القيم والاتجاهات المركزية للمجتمع وان يقوم بدور فعّال في صناعة الوعي ومجابهة ومحاربة الانحطاط وتحسس مكامن الضعف ولا يكون ذلك إلا بالابتعاد عن منطق النكبة والمحنة والعلمنة والمقدس –السلفية نموذجا في تقديس السلطة أو ما يعبر عنه بولي الأمر - وان يتحرر من مدارات التوظيف الحزبي او السلطوي وان يحمل المجتمع على الحركة والنهوض وإعادة إنتاج نفسه ماديا وروحيا والتفاعل مع محطات التاريخ وسياقاته .

إن الأدوار المتجددة أو الحديثة للمثقف يجب ان تتأسس من تجاوز الشعور بالضعف وان يستقوي بمكانته الرمزية وبسلطته الفكرية والثقافية وان يعمل ((موصولا بالوقائع الاجتماعية والسياسية والفكرية التي تعتمل في مجتمعه في الحقبة الماضية)) **(عزمي بشارة وآخرون ،2014 ،ص447)**

ومن ثم وجب تحسس نبض الواقع و تقديم رؤى ومقاربات وتفسيرات وبرامج انطلاقا منه بل وبوصفه ضميرا له –اي المجتمع –

دور المثقف في بناء ونشر الوعي الجمعي :

ان من واجبات المثقفين هو توظيف تكوينهم الأكاديمي والمعرفي في التعامل مع قضايا الأمة ومعالجة مشاكلها وتجاوز محنها وأزماتها ولا يتأتي ذلك إلا من خلال التموقع الصحيح داخل المجتمع ولابتعاد عن تفصيلات المشاكل اليومية ثم الانتقال من دائرة الوجود الى دائرة الحضور الذي يقتضي الفعل الثقافي المؤثر من جهة والتفاعل بشكل تطبيقي مع التغيير الاجتماعي .

ان الوعي الجمعي الذي يجب ان يعمل على تشكيله المثقف في زمن الثورات الاتصالية المعاصرة يبدأ من المثقف نفسه من خلال مراجعة التصورات التي يحملها عن نفسه وعن وظيفته ،فدور المثقف في بناء الوعي الجمعي يبدأ من تجديد التراث من خلال إخراج ما كان ثاويا في بطون أمهات الكتب لتجلّيته في واقعنا المتجدد .

كما ان المثقف يجب ان يعمل وفق أولويات المجتمع وان لا يتجاوزه في اطار اهداف المجتمع ومقاصده وكلياته وان يتحرك بتدرج وبمرحلية وفق مكونات المجتمع وان لا ينصب نفسه الطبيب وان لا يمارس ((دور طبيب الحضارة بالمعنى التهكمي الذي يستعمله نيتشه ، إن دور المثقف اليوم هو ترسيخ قيم الفضاء التداولي الذي يسمح بتعامل الشأن السياسي وطرح القضايا الكبرى للأمة)) **(مجموعة مؤلفين ،2017 ،ص525)**

ان دور المثقف في بناء الوعي الجمعي يكون من خلال التجليات التالية :

ان تكون ثقافة الإجماع والوعي الجمعي ثقافة مشاعة بين المجتمع تتأسس من خلالها نقاشات عميقة حول قضايا الامة ومصيرها .

بناء الحكم الرشيد من خلال سوق المجتمع بكل أطيافه ومكوناته سوقا رفيقا ينتج عنه التكامل والتفاعل المرتبط بالأصل الغير منكفئ عن العصر بعيدا عن الاستقطابات الهامشية التي تستنفذ طاقات الأمة .

كذلك من تجليات الوعي الجعي هو تحقيق السلم الاجتماعي من خلال جمع الامة على قاعدة المشترك والمتفق وتجاوز المختلف لأنه لا يمكن ان تحمل الناس على محمل او مركب واحد في الفكر والممارسة

ان المثقف من واجباته وهو يسعى إلى بناء الوعي الجمعي إلى إنهاء حالة الإخفاق التي تعيشها المجتمعات العربية وان يحي فيهم الهمة والرغبة للانتقال بهم من دائرة الحضور الى دائرة الشهود والإمكان الحضاري وهذا وحده يجعل المثقف ملزم بالتعامل مع المجتمع فكريا ومعرفيا وعمليا بعيدا عن الوصاية النخبوية .

الخاتمة :

وكخلاصة نقول ان هناك الكثير من الثغرات محيطة بادوار المثقف كما ان هناك الكثير من التساؤلات المتجددة حول هذه الأدوار خاصة تلك المرتبطة بالتحولات التي خاضتها بعض المجتمعات العربية والتي تعتبر منعطفا تاريخيا وحاسما وحساسا في البناء العربي ومن ثم فإن هذه التحليل المتواضع كشف عن ضرورة تجاوز الأدوار التقليدية واسترجاع للأدوار الحساسة والضرورية له كما تقتضيه طبيعة المرحلة ومن ثم نختم بالقول ان هذا التحليل البسيط سعى الى تقديم بعض القراءات في جدلية ادوار المثقف في ضوء جملة التغيرات والتحولات التي عرفها العالم العربي كما ان هذا الموضوع قد يثير بعض من الإشكالات المتعلقة بمضامين الفعل الثقافي وبنيته وتوجهاته وعن موقع ومركز المثقف داخل المجتمع ما بعد الثورة أو الحراك.

المراجع:

جبرار ليكلرك :سوسيولوجيا المثقفين ، ط1 ، ترجمة جورج كنزة ، دار الجديد المتحدة، بيرروت ،2008 ، ص65.

جون سكوت ومن معه ،2011 ، موسوعة علم الاجتماع ،ط2 ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، مصر ، ص537.

سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية ،ط2 ،دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 1983 ، ص194-195.

سمير ابراهيم حسن، 2007، الثقافة والمجتمع، ط1، دا الفكر، دمشق، سوريا، ص30.

عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 22.

عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين ،ط1 ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 197،2009 .

عبدالله الرشدان، علم اجتماع التربية ، ط1، دار الشروق، عمان، 2004، ص95.

عزمي بشارة وآخرون، دور المثقف في التحولات التاريخية ،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2017 ، ص447.

عزمي بشارة ومن معه، الثورة والقابلية ، ط2 ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2014، ص148.

مالك بن نبي ،2013 ، مشكلة الثقافة ،ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع ، رويبة ، الجزائر ،19

مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ،ط1 ،دار الوعي، الجزائر، 2013 ، ص 25.

مجموعة مؤلفين، دور المثقف في التحولات التاريخية ، ط1 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت، 2017 ، ص 525.

محمود الذوادي، 2010، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية اسلامية ، ط1، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ص149.